

قال الشيخ الإمام العلامة عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ المجدد الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُمُ اللَّهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**أصل دين الإسلام وقاعدته أمران :**

الأول: الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، والتحريض على ذلك، والموالاة فيه، وتكفير من تركه».

قلت: وأدلة هذا في القرآن أكثر من أن تحصر، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ الآية [آل عمران: ٦٤].

أمر الله تعالى نبيه ﷺ: أن يدعو أهل الكتاب إلى معنى لا إله إلا الله الذي دعا إليه العرب وغيرهم و الكلمة هي: لا إله إلا الله؛ ففسرها بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾.

فقوله: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ﴾ فيه معنى:(لا إله) ؛ وهي نفي العبادة عما سوى الله تعالى.

قوله : ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص فأمره تعالى: أن يدعوهم إلى قصر العبادة عليه وحدَهُ، ونفيها عمن سواه؛ ومثل هذه الآية كثير، يبين أن الإلهية هي العبادة، وأنها لا يصلح منها شيء لغير الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]

معنى ﴿قَضَىٰ﴾: أمر ووصَّى؛ قولان؛ ومعناهما واحد.

وقوله : ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ﴾ فيه معنى (لا إله).

وقوله : ﴿إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ فيه معنى : (إلا الله)، وهذا : هو توحيد العبادة.

وهو دعوة الرسل، إذ قالوا لقومهم: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢].

فلا بد من نفى الشرك في العبادة رأساً، والبراءة منه وممن فعله، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٧] فلا بد من البراءة من عبادة ما كان يعبد من دون الله .

وقال عنه عليه السلام: ﴿وَأَعۡتَزِلُكُمۡ وَمَا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [مريم: ٤٨]

فيجب اعتزال الشرك وأهله بالبراءة منهما، كما صرح به في قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤]. والذين معه هم الرسل، كما ذكره ابن جرير.

وهذه الآية تتضمن جميع ما ذكره شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ، من التحريض على التوحيد، ونفي الشرك، والموالاة لأهل التوحيد، وتكفير من تركه بفعل الشرك المنافي له، فإن من فعل الشرك فقد ترك التوحيد؛ فإنهما ضدان لا يجتمعان، فمتى وجد الشرك انتفى التوحيد.

وقد قال تعالى في حق من أشرك: ﴿ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴾ [الزمر: ٨].

فكَفَّرهُ تعالى باتخاذ الأنداد، وهم الشركاء في العبادة، وأمثال هذه الآيات كثير، فلا يكون موحداً إلا بنفي الشرك، والبراءة منه، وتكفير من فعله.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: « **الثاني : الإنذار عن الشرك في عبادة الله ، والتغليظ في ذلك ، والمعاداة فيه ، وتكفير من فعله** »

فلا يتم مقام التوحيد إلا بهذا؛ وهو دين الرسل ، أنذروا قومهم عن الشرك، كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾[النحل: ٣٦]. وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥] وقال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾[الأحقاف: ٢٣].

قوله: « **في عبادة الله** »: العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه ، من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة .

قوله: « **والتغليظ في ذلك** »: وهذا موجود في الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴾.

ولولا التغليظ لما جرى على النبي ﷺ وأصحابه من قريش ماجرى من الأذى العظيم، كما هو مذكور في السير مُفَصلاً؛ فإنه بادأهم بسب دينهم وعيب آلهتهم.

قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والمعاداة فيه**»: كما قال تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾، والآيات في هذا كثيرة جداً كقوله: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾، والفتنة: الشرك.

ووسم تعالى أهل الشرك، بالكفر فيما لا يحصى من الآيات فلا بد من تكفيرهم أيضاً هذا هو مقتضى: لا إله إلا الله كلمة الإخلاص، فلا يتم معناها إلا بتكفير من جعل لله شريكاً في عبادته، كما في الحديث الصحيح: «**من قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله**».

فقوله « وكفر بما يعبد من دون الله » : تأكيد للنفي، فلا يكون معصوم الدم والمال إلا بذلك، فلو شك أو تردد، لم يعصم دمه وماله.

فهذه الأمور: هي تمام التوحيد؛ لأن لا إله إلا الله قيدت في الأحاديث بقيود ثقال؛ بالعلم، والإخلاص، والصدق، واليقين، وعدم الشك، فلا يكون المرء موحداً إلا باجتماع هذا كله، واعتقاده، وقبوله، ومحبته، والمعاداة فيه، والموالاة، فبمجموع ماذكره شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحصل ذلك.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: « **والمخالف في ذلك أنواع؛ فأشدهم مخالفة من خالف في الجميع** ».

فقَبِلَ الشركَ، واعتقده ديناً، وأنكر التوحيدَ، واعتقده باطلاً، كما هو حال الأكثر؛ وسببه: الجهل بما دل عليه الكتاب والسنة من معرفة التوحيد، وما ينافيه من الشرك والتنديد، واتباع الأهواء، وماعليه الآباء، كحال من قبلهم من أمثالهم من أعداء الرسل، فرموا أهل التوحيد بالكذب والزور والبهتان والفجور، وحجَّتهم: ﴿ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [الشعراء: ٧٤].

وهذا النوع من الناس والذي بعده قد ناقضوا ما دلت عليه كلمة الإخلاص، وما وُضِعَت له، وما تضَمَّنتهُ من الدين الذي لا يقبل اللهُ ديناً سواهُ؛ وهو دين الإسلام الذي بعث الله به جميع أنبيائه ورسله، واتفقت دعوتهم عليه -كما لا يخفى- فيما قص اللهُ عنهم في كتابه.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «**ومن الناس من عبد الله وحده، ولم ينكر الشرك، ولم يعاد أهله**».

قلت: ومن المعلوم أن من لم يُنكِرِ الشرك لم يعرف التوحيد ولم يأت به، وقد عرفت أن التوحيد لا يحصل إلا بنفي الشرك، والكفر بالطاغوت المذكور في الآية.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **ومنهم من عاداهم ولم يكفرهم** ».

فهذا النوع أيضاً لم يأت بما دلت عليه لا إله إلا الله من نفي الشرك، وما تقتضيه من تكفير من فعله بعد البيان إجماعاً، وهو مضمون سورة الإخلاص، و﴿ قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾، وقوله في آية الممتحنة ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ﴾، ومن لم يكفر من كفَّرَهُ القرآن، فقد خالف ماجاءت به الرسل من التوحيد وما يوجبه.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **ومنهم من لم يحب التوحيد، ولم يبغضه** » .

فالجواب: أن من لم يُـحب التوحيد، لم يكن موحداً، لأنه هو الدين الذي رضيه الله تعالى لعباده كما قال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾، فلو رضي بما رضي به الله وعمل به لأحبه، ولابد من المحبة لعدم حصول الإسلام بدونها، فلا إسلام إلا بمحبة التوحيد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (الإخلاص: محبة الله، وإرادة وجهه، فمن أحب الله تعالى أحب دينه، ومن لا فلا، والمحبة يترتب عليها كلمة الإخلاص؛ وهي من شروط التوحيد) انتهى .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: « **ومنهم من لم يبغض الشرك، ولم يحبه** » .

قلت: ومن كان كذلك فلم ينف ما نفته لا إله إلا الله من الشرك والكفر بما يُعبدُ من دون الله، والبراءة منه، فهذا ليس من الإسلام في شيء أصلاً، ولم يُعصم دمه ولا ماله كما دل عليه الحديث المتقدم.

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **ومنهم من لم يعرف الشرك ولم ينكره ولم ينفه** »

ولا يكون موحداً إلا من نفى الشرك وتبرأ منه وممن فعله، وكفَّرَهم، وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء مما دلت عليه لاإله إلا الله، ومن لم يَقُم بمعنى هذه الكلمة ومضمونها فليس من الإسلام في شيء؛ لأنه لم يأت بهذه الكلمة ومضمونها عن علم ويقين وصدق وإخلاص ومحبة وقبول وانقياد، وهذا النوع ليس معه من ذلك شيء، وإن قال: (لا إله إلا الله) فهو لا يعرف مادلت عليه وما تضمنته.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: « **ومنهم من لم يعرف التوحيد، ولم ينكره** » .

فأقول: هذا كالذي قبله، لم يرفعوا رأسا بما خلقوا له من الدين الذي بعث الله به رسله، وهذه الحال حال من قال الله فيهم: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴾

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**ومنهم – وهو أشد الأنواع خطراً – من عمل بالتوحيد ولم يعرف قدره، ولم يبغض من تركه ولم يكفرهم**».

فقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وهو أشد الأنواع خطراً**»: لأنه لم يعرف قدر ماعمل به، ولم يأت بما يصحح توحيدَهُ من القيود الثِّقال التي لابد منها، لما علمت أن التوحيدَ يقتضي نفي الشرك، والبراءة منه، ومعاداة أهله وتكفيرهم، مع قيام الحجة عليهم، فهذا قد يغتر بحالِهِ، وهو لم يأت بما عليه من الأمور التي دلت عليها كلمة الإخلاص نفياً وإثباتاً.

وكذلك قوله رَحِمَهُ اللَّهُ: « **ومنهم من ترك الشرك، وكرهه، ولم يعرف قدره** ».

فهذا أقرب من الذي قبله لكن لم يعرف قدر الشرك؛ لأنه لو عرف قدره لفعل مادلت عليه الآيات المحكمات، كقول الخليل: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾، وقوله : ﴿إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾، فلا بد لمن عرف الشرك وتركه من أن يكون كذلك من الولاء والبراء من العابد والمعبود، وبغض الشرك وأهله وعداوتهم.

وهذان النوعان هما الغالب على أحوال كثير ممن يدعى الإسلام، فيقع منهم من الجهل بحقيقتِهِ ما يمنع الإتيان بكلمة الإخلاص وما اقتضته على الكمال الواجب الذي يكون به موحداً، فمـا أكثر المغرورين الجاهلين بحقيقة الدين!

إذا عرفت ذلك؛ عرفت أن الله كفر أهل الشرك ووصفَهُم به في الآيات المحكمات كقوله: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَاجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، وكذلك السنة.

قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فأهل التوحيد والسنة يُصَدِّقون الرسل فيما أخبروا، ويطيعونهم فيما أمروا، ويحفظون ما قالوا، ويفهمونه ويعملون به، وينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، ويجاهدون من خالفهم تقرباً إلى الله وطلباً للجزاء من الله لا منهم.

وأهل الجهل والغلو لا يميزون بين ما أمروا به ونهوا عنه، ولا بين ما صح عنهم وما كذب عليهم، ولا يفهمون حقيقة مرادهم، ولا يتحرون طاعتهم؛ بل هم جهال بما أتوا به معظمون لأغراضهم) انتهى.

قلت: ما ذكره شيخ الإسلام يشبه حال هذين النوعين الأخيرين.

بقي مسألة حدثت تكلم فيها شيخ الإسلام ابن تيمية؛ وهي عدم تكفير المعين ابتداء لسبب ذكره رَحِمَهُ اللَّهُ أوجب له التوقف في تكفيره قبل إقامة الحجة عليه.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (ونحن نعلم بالضرورة أن النبي ﷺ لم يشرع لأحد أن يدعو أحداً من الأموات لا الأنبياء ولا الصالحين ولا غيرهم بلفظ الاستغاثة ولا بغيرها، كما أنه لم يشرع لأمته السجود لميت ولا إلى ميت ونحو ذلك، بل نعلم أنه نهى عن هذه الأمور كلها، وأن ذلك من الشرك الذي حرمه الله ورسوله ﷺ، ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم بذلك حتى يبين ما جاء به الرسول مما يخالفه) انتهى.

قلت: فذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أوجب له عدم إطلاق الكفر عليهم على التعيين خاصة إلا بعد البيان والإصرار؛ فإنه قد صار أمة واحدة، لأن من العلماء من كفره بنهيه لهم عن الشرك في العبادة، فلا يمكن أن يعاملهم إلا بمثل ما قال، كما جرى لشيخنا محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ابتداء دعوته؛ فإنه إذا سمعهم يدعون زيداً بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: (الله خير من زيد) تَمريناً لهم على نفي الشرك بلين الكلام؛ نظراً إلى المصلحة وعدم النفرة.

والله سبحانه أعلم، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبة وسلم.



قال الإمام المـجدد محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تأمل - رحمك الله - ستة مواضع من السيرة، وافهمها فهماً حسناً، لعل اللهَ أن يُفَهِّمَك دين الأنبياء لِـتَـتبَعهُ، ودينَ المشركين لِـتَـتركَهُ، فإنَّ أكثرَ مَن يدعي الدين ويُعَـدُّ من الموحدين لا يفهم الستة كما ينبغي:

الأول: قصة نزول الوحي

وفيها أنَّ أولَ آية أرسلَهُ الله بها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ إلى قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ﴾.

فإذا فهمت أنهم يفعلون أشياء كثيرة يعرفون أنها من الظلم والعدوان، مثل الزنا، وعرفت أيضاً أنهم يفعلون شيئاً من العبادة يتقربون بها إلى الله، مثل الحج والعمرة والصدقة على المساكين والإحسان إليهم وغير ذلك، وأجلها عندهم الشرك، فهو أجل ما يتقربون به إلى الله عندهم، كما ذكر الله عنهم أنهم قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾، ﴿وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

فأوَّل ما أمره الله به الإنذار عنه، قبل الإنذار عن الزنا والسرقة وغيرهما، وعرفت أن منهم من تعلق على الأصنام، ومنهم من تعلق على الملائكة، وعلى الأولياء من بني آدم، ويقولون: (ما نريد منهم إلا شفاعتهم!)، ومع هذا بدأ بالإنذار عنه في أول آية أرسلَهُ اللهُ بها .

فإن أَحكَمْتَ هذه المسألة فيا بُشراك.

خصوصاً إذا عرفت أن ما بعدها أعظمُ من الصلوات الخمس، ولم تفرض إلا في ليلة الإسراء - سنة عشر -، بعد حصار الشِّعب بسنتين، وموت أبي طالب، وبعد هجرة الحبشة بسنتين؛ فإذا عرفتَ أن تلك الأمورَ الكثيرةَ والعداوة البالغة، كلَّ ذلك عند هذه المسألة قبل فرض الصلاة، رجوتَ أن تعرف المسألة.

الموضع الثاني: أنه لما قام ينذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضِدِّه - وهو التوحيد - لم يكرهوا ذلك واستحسنوه، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه، **إلى أن صَرَّح بسبِّ دينِهم، وتجهيل علمائِهم**، فحينئذٍ شمَّروا له ولأصحابه عن ساق العداوة، وقالوا: (سَفَّـهَ أحلامنا، وعاب ديننا، وشتم آلهتنا)، ومعلومٌ أنه لم يشتم عيسى وأُمَّـهُ، ولا الملائكة، ولا الصالحين، لكن لما ذكر لهم أنهم لا يُدْعَون ولا يَنفَعُون ولا يَضُرُّون جعلوا ذلك شتماً.

فإذا عرفت هذا، عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام - ولو وَحَّدَ اللهَ وترك الشرك - إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغض، كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ...﴾ الآية.

فإذا فهمت هذا فهماً جيداً؛ عرفتَ أن الكثير من الذين يّدعون الدين لا يعرفونها، وإلا فما حمل المسلمين على الصّبر على ذلك العذاب والأَسرِ والضرب والهجرة إلى الحبشة؟ مع أنه أرحم الناس لو يجد لهم رخصة لأرخص لهم، كيف وقد أنزل الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾.

فإذا كانت هذه الآية في من وافقهم بلسانه، فكيف بغير ذلك؟!

الموضع الثالث: قصة قراءته سورة النجم، بحضرتهم فلما بلغ: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ ألقى الشيطان في تلاوته: (**تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم لتُرتَجى**).

فظنُّوا أن رسول الله قالها، ففَرِحوا بذلك، وقالوا كلاماً -معناه- :(هذا الذي نريد، ونحن نعرف أن اللهَ هو الضار النافع وحدَهُ لا شريك له، ولكن هؤلاء يشفعون لنا عنده).

فلما بلغ السجدة سجد وسجدوا معه، فشاع الخبر أنهم صافَوْه، وسمع بذلك من بالحبشة فرجعوا، فلما أنكر ذلك رسول الله، عادوا إلى شر مما كانوا عليه، ولما قالوا له: (إنك قلت ذلك) خاف من الله خوفاً عظيماً، حتى أنزل الله عليه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾

فمن فَهِمَ هذه القصة، ثم شكَّ بعدها في دين النبي، ولم يفرق بينه وبين دين المشركين فأبعده الله، خصوصاً إن عرف أن قولهم :(تلك الغرانيق) الملائكة.

الموضع الرابع: قصة أبي طالب.

فمن فَهِمها فهماً حسناً، وتأمَّل إقرارَهُ بالتوحيد، وحث الناس عليه، وتسفيه عقول المشركين، ومحبته لمن أسلم وخلع الشرك، ثم بذل عمره وماله وأولاده وعشيرته في نصرة رسول الله إلى أن مات، ثم صَبْـره على المشقَّة العظيمة، والعداوة البالغة، لكن لما لم يدخل فيه، ولم يتبرأ من دينه الأول، لم يَصِر مسلماً، مع أنه يعتذر من ذلك بأن فيه مسبة لأبيه عبد المطلب ولهاشم وغيرهما من مشايخهم.

ثم مع قرابته ونصرته، استغفر له رسول الله، فانزل الله تعالى عليه: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾.

والذي يبين هذا أنه إذا عرف رجل من أهل البصرة أو الأحساء بحب الدين وبحب المسلمين، مع أنه لم ينصر الدين بيده ولا ماله، ولا له من الأعذار ما لأبي طالب، وفهم الواقع مِن أكثر من يدَّعي الدين، تبين الهدى من الضلال، وعرف سوء الأفهام، والله المستعان.

الموضع الخامس: **قصة الهجرة**؛ وفيها من الفوائد والعبر ما لا يعرفه أكثر من قرأها، ولكن مرادنا الآن مسألةً من مسائلها، وهي أن من أصحاب رسول الله من لم يهاجر، من غير شك في الدين، وتزيين دين المشركين، ولكن محبته للأهل والمال والوطن، فلما خرجوا إلى بدر، خرجوا مع المشركين كارهين، فقُتِل بعضهم بالرمي -والرامي لا يعرفه- فلما سمع الصحابة أنَّ من القتلى فلاناً وفلاناً شقَّ عليهم، وقالوا: (قتَلنا إخوانَنا) فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ الآيات.

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

....

فمن تأمل قصتهم، وتأمل قول الصحابة: (قتلنا إخواننا) أنه لو بلغهم عنهم كلام في الدين، أو كلام في تزيين دين المشركين، لم يقولوا: (قتلنا إخواننا) فإن الله تعالى قد بين لهم وهم في مكة قبل الهجرة أن ذلك كفر بعد الإيمان بقوله: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾

وأبلغ من هذا ما تقدم من كلام الله تعالى فيهم، فإن الملائكة تقول: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ ولم يقولوا: (كذبتم) مثل ما يقول الله والملائكة للمجاهد الذي يقول: (جاهدت في سبيلك حتى قتلت) فيقول الله : (كذبت، بل قاتلت ليقال: جريء) وكذلك يقولون للعالم والمتصدق: (كذبت، بل تعلمت ليقال: عالم، وتصدقت ليقال: جواد)، وأما هؤلاء فلم يكذبوهم، بل أجابوهم بقولهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾.

ويزيد من ذلك إيضاحاً للعارف والجاهل، الآية التي بعدها، وهي قوله تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ فهذا أوضح جداً أن هؤلاء خرجوا من الوعيد، فلم يبق شبهة، لكن لمن طلب العلم بخلاف من لم يطلبه، بل قال الله فيهم: ﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ الآية .

ومن فهم كلام الحسن البصري قال: (ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتَّمنِّي، ولكن ما وَقَر في القلب، وصدقته الأعمال، وذلك ان الله تعالى يقول: ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾).

الموضع السادس: **قصة الردة بعد موت النبي**؛ فمن سمعها لا يبقى في قلبه مثقال ذرة من شبهة الشياطين الذين يُسَمَّون: (العلماء) وهي قولهم: (هذا هو الشرك، لكن يقولون: لا إله إلا الله، ومن قالها لا يكفر بشيء!) وأعظم من ذلك وأكبر تصريحهم بأن البوادي ليس معهم من الإسلام شعرة، ولكن يقولون: لا إله إلا الله، وهم بهذه اللفظة أهل إسلام، وحرم الإسلام مالهم ودمهم، مع إقرارهم بأنهم تركوا الإسلام كلَّهُ، ومع علمِهِم بإنكارهم البعث واستهزائهم بمن أقرَّ به، واستهزائهم وتفضيلهم دين آباءهم المخالف لدين النبيِّ ﷺ.

ومع هذا كله يصرخ هؤلاء الشياطين المردة الجهلة: (أن البدوَ أسلموا، ولو جرى ذلك كله، لأنهم يقولون: أن لا إله إلا الله)، ولازم قولهم أن اليهود أسلموا لأنهم يقولونها، وأيضاً كُفْرُ هؤلاء أغلظ من كفر اليهود بأضعاف مضاعفة - أعني البوادي الـمُـتَّصفين بما ذكرنا - والذي يبين ذلك من قصة الرّدّة، أن المرتدين افترقوا في ردَّتهم، فمنهم من كذّب النبيَّ، ورجعوا إلى عبادة الأوثان، وقالوا: (لو كان نبياً ما مات!)، ومنهم من ثبت على الشهادتين، ولكن أقرَّ بنبوَّة مسيلمة، ظناً أن النبيَّ أشركه في النبوة، لأن مسيلمة أقام شُهودَ زور شهدوا له بذلك، فصدقهم كثير من الناس، ومع ذلك أجمع العلماء أنهم مرتدّون -ولو جهلوا ذلك- ومن شكَّ في ردَّتهم فهو كافر.

فإذا عرفت أن العلماء اجمعوا أن الذين كذبوا ورجعوا إلى عبادة الأوثان وشتموا رسول الله ﷺ، هُم ومَنْ أقرَّ بنبوّة مسيلمة في حال واحدة، ولو ثبت على الإسلام كله.

ومنهم من أقرّ بالشهادتين، وصدق طليحة بن خويلد الأسدي في دعواه النبوَّة، ومنهم من صدق عيهلة بن كعب الأسود العنسي - صاحب صنعاء - وكل هؤلاء أجمع العلماء أنهم سواء.

ومنهم من كذَّب النبيَّ ورجع إلى عبادة الأوثان على حال واحدة، ومنهم نوع أخر، آخرهم الفجاءة السّلمي لما وفد على أبي بكر وذكر له أنه يريد قتالَ المرتدين، ويطلب من أبي بكر أن يمدَّهُ فأعطاه سلاحاً ورواحلَ، فاستعرضَ السّلمي المسلم والكافر يأخذ أموالهم، فجهزَ أبو بكر جيشاً لقتاله، فلما أحسَّ بالجيش قال لأميرهم: (أنت أميرُ أبي بكر وأنا أميره، ولم أكفر) قال الأمير: (إن كنت صادقاً فألقِ السِّلاح) فألقاه، فبُعِثَ به إلى أبي بكر، فأمرَ بتحريقه بالنار وهو حي.

فإذا كان هذا هو حكم الصحابة في هذا الرجل مع إقراره بأركان الإسلام الخمسة، فما ظنك بمن لم يقر من الإسلام إلا بكلمة واحدة؛ إلا أن يقول: (لا إله إلا الله) بلسانه مع تصريحه بتكذيب معناها، وتصريحه بالبراءة من دين محمد ﷺ، ومن كتاب الله تعالى؟!

ويقولون هذا دين الحضر ودين آبائنا، ثم يُفتون هؤلاء الـمردة الجهال: (أنَّ هؤلاء مسلمون!) ولو صرحوا بذلك كلِّه، إذا قالوا: (لا إله إلا الله!) سبحانك هذا بهتان عظيم.

وما أحسن ما قال واحد من البوادي لما قدم علينا وسمِعَ شيئاً من الإسلام، قال: (أشهد أننا كفار -يعني هو وجميع البوادي- وأشهد أن المطوعَ الذي يسمينا أهل الإسلام أنه كافر!).

تمَّ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.